مَسْـــرَحٌ صَغيـرٌ

في إحدىٰ المضافاتِ بالحارةِ الغربيةِ لقرية سكوفيا ، كان الناس يشاهدون تمثيليَّةً كوَّنَها بعض الشباب المتَطَفِّلين علىٰ هذه المهنةِ ، حيث أقاموا مسرحاً صغيراً يمثلُ مجتمعاً عربياً فلسطينياً وقد دَخَلَه صهاينةٌ غرباء ماكرون ، وقد مَثّلوا شخصيَّةَ اليهودي الطماع التاجر المحب للمال ذي اللحية الطويلة الرفيعةِ والقلنسوةِ الواسعةِ ، وهو يلهجُ لغةٌ عربيَّةً مكسَّرَةً وبلسانِ أعوجِ ، ويظهر وهو يبيعُ ويشتري من أهل البلادِ والقرىٰ المجاورةِ بالخِداعِ ويَحسُبُ حساباتٍ مرتفعَةٍ فيها الرِّبا . من دُيونٍ علىٰ هؤلاءِ المحتاجين وهو يحلفُ بدِينِه وشرفِه .

وآخرون يمثلون يهوداً يتمايلون ويرقصون ويغنون وهم بحالة سكر ، وبينهم فتياتٌ ماجِناتٌ كي يستمِلْنَ المتفرجين ، وإن لهذه الفرقَةِ حِواراتٌ وحركاتٌ تُمَثِّلُ الواقعَ المعاش في مدن وقرىٰ فلسطين ، التي دخلها المعتدون في وطنٍ عربيٍّ يؤمن بالعزَّةِ والعروبةِ والإسلامِ وحسن المعاملةِ .

كان الناس معجبين بتمثيل هؤلاء الشبان المتقن ، وتصويرهم

الشخصياتِ واللهجاتِ ، وكأنهم قد درسوا هذا الفن في أكاديميات أو مدراس ، وإنما ابتكروه بالفطرةِ بعد ما شاهدوا أعمالَ أبي خليل القباني في دمشق.

ولشباب القريةِ أنشطةٌ رياضيَّةٌ واجتماعيةٌ فيما بينهم وبين شباب القرىٰ الأخرىٰ المجاورةِ ، أو أفرادِ الجيش العربي السوري المرابط فيها قبالةَ العدوِّ الصهيونيّ.

وتُنَظَّمُ سِباقاتِ الخيولِ في الأعراسِ والمناسباتِ ومَنْ يأخذُ الراية يُبَجَّلُ ويُحْتَفَلُ بهِ ، وتوضَعُ له النَّياشين والإشارات وكثيراً ما يحصلُ عليها ضباطُ وأفراد فرسان الجيش السوري.

وفي ملعب المدرسةِ ينتظمُ فريقان من القرية وقرية مجاورة أو فريق السَّريةِ العسكريةِ ، وكلٌّ له مُشَجِّعوه ومؤيدوه. وقد يتبارون في لُعبةِ شَدِّ الحبل والمُصَفِّقون والمنادون علىٰ الفريقين وهم في غايةِ الفرَحِ والحبورِ ، أو في سباقات الركضِ واختراقِ الضاحيةِ ، ولابدَّ من الإشارةِ إلى الموائد والحفلات وذبح الخراف ، وتقديمها للضيوف والأهل والمتسابقين وخاصة في مواسم الزواجِ والطهورِ ، وفيها تقامُ الأفراحُ والدَّبكاتُ والرقصاتُ من الشباب والشاباتِ ، وفي الزَّفَّةِ علىٰ ظُهورِ الخيلِ تَسْمَعُ الحِداءَ والهجيني والموالَ والزَّغاريدَ والزَّجَلَ.

أما في السهراتِ وخاصة في ليالي الشتاء الطويلة ، حيث يتجمَّعُ الشيوخ والشباب في مضافة كبيرة في وسطها موقدٌ من

حَطَبِ المَلّولِ ودَريسِ الزيتون ، وفي أطرافه تغلىٰ القهوةُ المرَّةُ التي تُعتبرُ المشروبُ المحبَّبَ عندهم مع الشاي ، ويتبادلون الأحاديث المشَوِقَّةِ والمسلّيَةِ ، وغالباً ما يلعبون لُعبةَ الصينيَّةِ وهي عبارةٌ عن صينيَّةٍ واسعةٍ أو غربالٍ عليه عَشَرَةُ فناجينَ مقلوبةٍ وتحت أحدها خاتمٌ أو حلقةٌ يُخبِّئها أحدُ الفريقين ، ويحصل من يعرف أين وُضِعَ الخاتَمُ ويفوز بالعشرةِ من أولِ اختيارٍ ، وكثيراً ما تتعالىٰ الأصواتُ أنه هنا وذاك يقول: بل هناك ، وكلها تعتمدُ علىٰ الحدسِ وقراءةِ نظراتِ من خَبَّأَهُ. وفي آخر السهرةِ يُحْضِرون الهريسةَ أو البقلاوة علىٰ حساب الخاسرين ، إنها الأيام الخالية فيها البساطةُ والمتعةُ والإخاءُ والمحبَّةُ بينَ الناسِ.

أما في مجالس الجداتِ فيتجمّعُ الأطفالُ وحتىٰ اليافعين ، يستمعون إلىٰ قصص عن السلاطين والأميرات والبطولات ، والأبطال الحالمين بالزواج ومن يعملُ المعجزات كي يفوزَ بخيارِ الأميرة ، ولا تخلو هذه القصص من الخرافات والجن والغول.

* * *